

خزانة الأدب وغاية الأرب

وأحسن ما سمع في القسم على المدح قول الشاعر .

(خفت بمن سوى السماء وشادها ... ومن مرج البحرين يلتقيان) .

(ومن قام في المعقول من غير رؤية ... فأثبت في إدراك كل عيان) .

(لما خلقت كفاك إلا لأربع ... عقائل لم تعقل لهن ثواني) .

(لتقبيل أفواه وإعطاء نائل ... وتقليب هندي وحبس عنان) .

والمقدم في هذا الباب وهو الذي انتهت إليه نهاية البلاغة قوله تعالى (فرب السماء

والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فإنه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة

وأكمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والأرض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث أخبر سبحانه وتعالى

أن الرزق في السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعد به دون غيره .

انتهى الكلام على القسم الذي يراد به الفخر والمدح والتعظيم .

وأما ما جاء من القسم في النسب فكقول الشاعر .

(جنى وتجنى والفؤاد يطيعه ... فلا ذاق من يجني عليه كما يجني) .

(فإن لم يكن عندي كعيني ومسمعي ... فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني) .

ومما جاء من القسم في الغزل قول ابن المعتز .

(لا والذي سل من جفنيه سيف ردى ... قدت له من عذاريه حمائله) .

(ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت ... غمضا ولا سالمتم قلبي بلابله) .

الذي وقع عليه الاتفاق أن هذا أحسن ما وقع من القسم في الغزل إذ القسم والمقسم عليه كل

منهما داخل في باب الغزل ولكن قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع إن الذي وقع لجميل بن

معمر العذري في هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان

محبوبته .

(قالت وعيش أبي وأكبر إخوتي ... لأنبهن الحي إن لم تخرج) .

(فخرجت خيفة أهلها فتبسمت ... فعلمت أن يمينها لم تلجج)